محمد أحمد السديري

الملحمة الزائدية

الملحمة الزائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديـم

هذه قصيدةٌ من نجد .. حافلةٌ بالسِّمات النجدية الأَصيلة ، التي حفظها لنا التراث العربي ؛ ولولا أَنها قد نظمت بلغة « نجد » الدارجة ولهجتها – لخيِّل اليك انك أَمام قصيدة طنانة لشاعر فحل من فحول الشعراءِ الأَوائل الذين ملأُوا البيد برجْع الحانهم العذاب ، وصدى اغانيهم الباقيات !

في هذه القصيدة تجد كل الخصائص المميزة للشعر العربي الفحل القديم : المعنى الشريف والخيال المجنح ، والصورة السانحة والحكمة البليغة في بناءٍ محكم رصين .. يأْخذ باللُّب ، ويأْسر الأَذواق ...

إنه ذلك الماءُ العذب يجري في عروق شجرة الشعر الموروث ؛ فتخضر ، وتورق ، بمثل هذا القصيد الجميل .. من جديد !

وانه لشيءٌ ساحرٌ ومغرٍ .. أن يسمع المرءُ ، في هذا العصر ، قصيدة كهذه : تفوح بشذى تلك العصور الخوالي .. عصور الحب العذري ، والبطولات النادرة ، والشرف الفائر نخوةً ، وعزةً ، وافتخارا ... مجلّلةً جميعها بوقار الحكمة المستقاة من تجارب الحياة ، ووقائع الزمان !

تلك هي مكونات هذه القصيدة التي بين أيدينا ، ولكن الذين يستمتعون بها ، هم اولئك الذين يتكلمون لغتها ، ويمارسون لهجتها فحسب .. انها لغة شعب نجد ولهجته ؛ ولذا فقد يكون ذلك عائقاً دون فهم القارىء العربي ، وتذوقه لمعاني هذه القصيدة البديعة ... واذا كان « الشعر الشعبي » هو الذي يجسِّد ، تفكير الشعب وخياله ، واسلوبه ونظرته إلى الحياة ، باكثر مما يصوره الشعر الفصيح ؛ فان هذه القصيدة توفي على الغاية منها . في هذا السبيل ...

ولا شك في أن أبناء « الجزيرة العربية » في غنىً عن شرحها . انهم يفهمونها ويتذوقونها ؛ لانها تعبِّر – بواسطة اللهجة اليومية المألوفة – عن الأخيلة والصور ، والأمجاد والمعاني .. التي ينعمون بها ، ويتوقون اليها . وهم يتذوقونها – لذلك السبب – اكثر من تذوُّقهم لها لو انها كتبت باللغة الفصحى .. !

وهذه ميزة ...

بيد انها تنقلب ، بالنسبة للقارىء العربي ، الى عائقٍ يحول دون

فهمها ؛ ولذا فكّرت في تناولها بالشرح ، والتعليق ، لكي يتمتّع ذلك القارىء بلونٍ طريف تليد .. من فنٍ لم نعد نستروح انفاسه الا في التراث العطر .. ولكي لا تظل المتعة بها وقفاً على « ابناء الجزيرة » عموماً ، وأبناء « نجد » بشكل خاص ..

وهكذا .. في ليلة ساجيةٍ من ليالي « جدة » ، وفي جلسةٍ شاعرية ، مع لفيفٍ من الأصدقاء .. كان الحديث خلالها عن الأدب والشعر . وعن الشعر العربي الفصيح ، والشعر الشعبي لكل بلدٍ عربي .. حتى افضت بنا الجلسة الى أن نستمع ، في نشوة ، للشاعر الفارس الأمير الأمجد محمد بن أحمد السديري ؛ يطربنا من شعره ، هو ، بالمعجب المثير...

وكانت هذه القصيدة ، أو على الأصح مقتطفات منها ، روعة الروعة فيما القاه علينا بلهجته النجديّة المنسجمة مع نغم القصيدة ، وايقاعاتها .. وهي تنتقل من مشهدٍ لآخر ، في رقةٍ حيناً ، وفي عنف حيناً آخر .. بحيث شدّتنا اليها ، ذوْقاً وسمعاً ، شدّاً محكماً ، وطارت بنا ، بلذة ، في آفاقها .. حتى انتهت ؛ وكأننا استمعنا الى احدى المعلقات التي حفظها لنا الأدب العربي وعشنا في اجوائها الرائعة . !

وما كاد الأمير الشاعر ينتهي .. حتى كنا نطالبه جميعاً بنشر شعره

عموماً . وهذه القصيدة خصوصاً ، لما تحوي من نبيل المعاني ، وكريم السجايا والأخلاق التي ينبغي ان يتحلَّى بها الشباب ، ويستزيـدوا منها بالإضافة الى انها تحفةٌ فنِّية تعكس للقارىء النجدي صفاته ، وامجاده وللقارىء العربي : صورة رائعة « لشعر نجد الشعبي » ! .

لقد عرفنا ، بفضل وسائل النشر ، أدب اكثر من قطرٍ عربي : زجلاً واغانيَّ ومنظومات ، بلهجاتها المحلية ، ... وتعرَّفنا ، بواسطة ذلك ، الى طرائق تفكيرها ، واخيلتها ، وتعبيراتها ، وفنِّها ...

ولكن هذا اللون من شعر نجد والحجاز ، لا يزال مغموراً ، اذا استثنينا بعض الأغاني المائعة ، التي لا يمكن ان تكون تعبيراً .. عن شعب نبتت العربية في رحابه ، وترعرع الإسلام في أرضه ، واهدى للعالم كله اشرف المبادىء والاخلاق ، والسمو والتشريع ، ممثلةً جميعها في خاتمة رسالات السماء !

منذ ذلك اليوم عنيت بالإلحاح على الصديق الأمير ولقد ارهقني ، وانا اتابعه ؛ فأنا اريده على العناية بهذا الإنتاج ، وهو يتهرَّب بما عُرف عنه من تواضع وحياء وكرم ..

انا اريد أن أنشر هذه القصيدة . لأنها : تحفة فنِّية جميلة . اولاً .

ولانها ، ثانياً ، : عمل تربوي ، يثير النخوة ، والشرف ، ويبعث

على مكارم الأخلاق ، ويربط شباب اليوم بماضيهم العظيم ، ويمنحهم مورد رجولةٍ وخلق وبطولة في قالب فني جميل ...

ولانها ، ثالثاً ، : صورةٌ مشرقة « لأدب نجد الشعبي » يجب ان يتعرّف اليه القارئ العربي كما تعرّف الى الآداب الشعبية لاقطار عربية أخرى ؛ فتزداد ، بذلك ، فرص التآلف والتعارف والتقارب الذهني والعاطفي ...

... والصديق الأمير يمعن في التهرّب امعاناً ، تواضعاً منه وتأدباً .. فعْل السريّ الكريم : لا يريد ان يُذكر ، ولا يقدم على شيء تشم منه رائحة الزهو .. حتى ولو كان مثل هذا الشعر الذي تنخلع دونه رقاب الشعراء ....

نظرة عامة :

القصيدة – كما قلنا – تجري على نسق الشعر العربي الأصيل ؛ فهي تبدأ بالنسيب ، أولاً ، كمقدمة يخلص منها الشاعر الى الموضوع الذي اراده ، وهو هنا ذكر الصفات ، والبطولات ، والامجاد التي تتوارثها « قبيلة الدواسر » كابراً عن كابر . وذلك من خلال وصف المعارك البطولية التي خاضتها القبيلة بقيادة كبيرها المقدام – الذي هو الجد الأكبر للشاعر – مدفوعة بقانون الشرف الموروث الذي يجعل من حماية المستجير اقدس المقدسات .. وبين ذلك ينثر الشاعر حكمه ونظراته

المستقاة من تجاريب الحياة ، كما ينثر الربيع ازاهيره العطرات في روابي نجد الساحرة ورياضها ...

والواقع ان الشاعر قد وزّع ذلك توزيعاً جميلاً ، اضفى على معلقته هذه نوعاً من التلوين المشوق بحيث جعل منها [معلقة نجديّة حقاً] ! .

ونستطيع ان نقسّمها ، على وجه التقريب ومن أجله ، الى اربعة اقسام :

١ - النسيب .. وقد جرى الشاعر في هذا - كما سنرى - مجرى الشعراء الأوائل .

٢ - مدخل الى « الموضوع الاساسي » من « الحِكَم » ابرز ما فيه واجمله وصف الصديق الحق وتعريفه ! .

٣ - وصف « للمعركة » التي اختارها الشاعر ؛ ليسجّل - من خلالها - مآثر قومه وبطولاتهم . ولكي يفهم القارىء ذلك لا بد ان يعرف قصة هذه المعركة . ومؤداها : ان شخصاً يدعى « جريس اليماني » من الأشراف كان حكام مكة المكرمة ، وهم من الأشراف آنذاك ايضا قد طلبوه وغضبوا عليه ،وكان الشريف غالب مرهوب الجانب ، قويّ الشكيمة؛ فأنذر كل قبيلة تأوي « جريساً » أو تجيره . بالهلاك والدمار ؛ فما كان من « جريس » الا أن لجأ الى « قبيلة الدواسر » القوية وزعيمها عامر بن

بدران . فأجاره ، على الرغم من كل تهديدات غالب .. الذي غضب لهذا التحدي ؛ فساق جحافله على الدواسر وزعيمها ليأخذ جريساً بالقوة ويمحق القبيلة التي هبت ، بدورها ، للذب عن الجار .. وعن الحمى فكانت.. « المعركة » التي سجل الشاعر ، في معلقته هذه وقائعها ونتائجها .. مستعرضاً الصفات الحميدة ؛ التي بفضلها انتصرت القبيلة وزعيمها ..

ثم يعرِّج الشاعر ، بعد ذلك – كما سنرى – الى موقف قبيلته المماثل من آل صباح وآل خليفة وقبائلهما التي استعادت بفضل الدواسر ارضها وحقوقها ..

ولا ينسى شاعرنا ان يعرِّج على استيطان الدواسر لأراضيها الحالية ، فيسجل ذلك بشعر جميل .. واصفاً كيف انتزعوها عنوة واوجدوا لهم داراً ووطناً حموه بالمرهفات على كرِّ الزمان فما ذلّ ولا هان ..

٤ – عودة الى الحكمة يختم بها المعلقة في ابيات حافلة بالتجربة والصدق والحياة ... في استخلاص العبرة من الاحداث

ذلك هو الإطار العام .. للصور العديدة والمشاهد المثيرة ، التي حفلت بها هذه الملحمة !

شرح وتحليل :

يستهل الشاعر معلقته بالدعاء لقلبٍ اضناه الحب « يتزايد عناه ». اذْ ان داعي غرامه قد دعاه للغرام .. الذي لباه ذلك القلب دون ريب . انه لم يطع « العاذل » الذي قام « يعذله من بين الملا » . كلا ! ان سماعه

ليزيد في عناه . وفي غرامه ؛ لانه لا يصرفه عنه ؛ فهو انما يزيد في عناه بعذله ولومه ...

انه لمترعٌ بالحب ! فاذا « توسَّع خاطره ربع ساعة » من زمان ، اي اذا خلا خاطره من مشاغل هذا الحب لحظة : فان « داكوك » الهموم تضطره على الامتلاء ، بالضيق امتلاءًا ، هو اشد من لواعج الحب ، وحرقة الغرام .

انه لقلبٌ برته « مجادلة » الضيم والعناءِ [وانه لجدلٌ رائع] ! بيد ان « الضيم » قد برى ذلك القلب من بين الضلوع !

يقول :

عفا الله عن قلبٍ يزيد عناه
وداعي غرامه للغرام دعاه

ما طاع (١) عذّال (٢) يعذله من الملا
وان سمع عذاله يزيد عناه

الىٰ توسَّع خاطره ربع ساعه
على الضيق داكوك (٣) الهموم نحاه (٤)

---

(١) لم يطع
(٢) عذول
(٣) هواجس (٤) اضطره

قلبٌ بـــراه مجادل (١) الظيم والعنـــا

الظيـــم مـــن بين الضلــوع .. بـــراه

اذن .. ايها العاذل دع قلبي . انمــا عذلك اياه يضرّه . انه يزيد شقاءه . لقد كوته الايام حتى أَوجعته . ووا المي لمن كواه حرّ الزمان !

ان النوى لتكويه بنار الغيظ الحامية ، حتى « تضيق حشاه » . وانه ليئنّ انات « الخلوج » الهيم الى صغيرها .. ان حنين « الخلوج » لمضرب الامثال . ومع ذلك فان ما بها ، لا يساوي « رُبع » ما يعانيه .. وانه ليقسم على ذلك بموشّى السحاب بالماء .. ! .

كل ذلك .. على « فتاةٍ » لم تر العين اجمل منها . ولا مثلها . انه ليحيا بذكريات من يهوى لقاءها من جديد . فانما يجلو هموم قلبه .. شرابٌ حلوٌ ، مختوم .. هناك في الذرى المنيعة من « مناظيم مبسم » الحبيب:

دعِ القلب يا عذّال خلّه بغايته

هواك ما يتبع طريق هواه

دعِ القلب يـــا عذّال . عــذلك يضرّه

يــزيــد يـــا عـــاذل عليـــه شقـــاه

كونّــه (٢) الايام لين (٣) أوجعنّـــــه

وعزّى (٤) لمـــن حـــرّ الزمـــان كـــواه

---

(١) مجادلة . وهو معنى جميل .

(٢) كونه وكذا اوجعنه اي اوجعته (٣) حتى (٤) تألمي .

يكويه من هَجْر النيا (١) حامي الطَّنا (٢)
يضيقَ بهْ من ما دهاهْ حشاهْ

يحنّ حنّات الخلوج (٣) لجنينها
والخلجْ مفهومٌ تحنّ ظناه

ما حزنها حزنه .. ولا ربع ما به
وحياة من نشّا السحاب بماه

على جادلٍ (٤) ما شافتِ العينْ مثلها
أحيا بذكرى من هويت لقاهْ

عشيرٍ (٥) شرابي من مناظيم مبسِمه
يجلا عن القلب الدريك ظماه

أداريه عن شيء يحسّه ويغضبَه
وإلىٰ زِعلْ يُصعبْ عليَّ ارضاه

وهكذا ينتهي شاعرنا من غزله ونسيبه ؛ ليوجّه شكواه الى صديق كريم . فاذا ما هجمت عليه هموم البين ، واحزان النوى وتجرّع

---

(١) البعد . (٢) الغيظ .
(٣) الخلوج الولوه من الإبل التي تفقد رضيعها .
(٤) جادل « فتاة » . (٥) عشير : حبيب

غصات الهوى المحرقة ـ فانه يتذكر ، خاصةً ، من « بين طلابة الجود » رفيعَ الذرى ، الذي يمشي عبر مسالك الدروب ، بدافع المروءة والمجد . ذلك .. الذي قطع اشواطاً . ولكن نفسه تدفعه دائماً الى المزيد .. الى ارتياد كل شامخ ، وتخطّي كل عسير .. انه « بن فيصل » . الذي يحمي كل من لجأ اليه واستجار به . [وفي هذا كما يقول النحاة ـ براعة استهلال] .

انه ليشكو على « فرز » الوغى . جائر الهوى واحزان المشتاق .. الذي تاه في « بحور الغرام » المظلمة ، الثائرة الامواج ... حيث اضله ،عمن يحب ، دليلٌ خاطىءٌ .. والقى به في عاصف الموج حائراً . لقد اضله عن « حيّ » يخصه بالمودة دون الناس جميعاً .. وان يوماً يفوت ليزيد في تعلقه به واعزازه له ، رغم كل ما يعانيه من آلام . وانها لمعزّة تتجدد علاماتها ، وتكتب على صفحات القلب الحساس اسماؤُها التي لا تبلى ...

اسماؤُها . ؟ تلك اذا ما « عرضت » له ، حتى ولو كان « بين الناس » صفّقت نواحي فؤاده الهيمان الذي رماه الحبيب .. رماه بسهام محاجره الجميلة . ومع انه « قليل الفزع » شجاعٌ ، ومقدام ؛ فان ظلم الحبيب دهـــاه ..

دهاه .. بالفراق .. حتى انتحى قلبه ، عن مكانه ، جانباً .. ولم يكفه هذا .. بل ان الحبيب قد انتزعه انتزاعاً ، « من بين الضلوع » ،

وشدّه شداً محكماً دون رحمة . وهو لم يستطع ان يفعل ذلك ، الا لانه – هذا القلب – وفيٌّ بالغ الوفاء . من قلّده الجميل ردّه له ، واوفاه . وكأنما مجرد سماح الحبيب له بممارسة محبته دينٌ يستحق الوفاء . وانه ليفي له بالروح ، مهما غلت ، « ان روحاً تحب اختها .. لتحب ، في ذات الوقت ، « جزاه » ! .

وانه – على ذلك – ليجازيه . ولو اساء اليه . ان اساءة الغالي ، مهما بلغت ، ليمحوها « عظيم رضاه » . (الم يقل الشاعر القديم :

واخضـــع للعتبـــى اذا كنت مذنبـــاً
وان اذنبت . كنت الـــذي اتنصّل ؟)

ان مرضاته تبهج خاطري . وهـــذه البهجة دين يستحق الوفاء وان قلباً يفريه الحب ليرتاح بذلك ويسعد ! ان الحبيب ليعذب هذا القلب ؛ لانه يسهل عليه معالجة فريه وتطبيبه ؛ فان علاجه هو سبب مصائبه . اما شفاؤه ؛ فليس الا رحيق « شفاه » ..

وايا كانت الصعوبات ، والحوائل التي تفصله عمن يحب ، فانه يظل « يتمناه » ولو قامت « الجموع » في وجهه تصدّه ، وهبَّ « الحساد » يقفون في طريقه .. وهو لن ييأس ؛ لأن حبل الأمل يمسكه دائماً ! .

ان دكّ (١) بي مـن حامي البيـن هاجس
وجرّعتْ مـن حـر الغرام طِنـاه (٢)

تـذكّرت مـن طلابـة الجـود نـادرْ
رفيـع الـذّرا عِسْر الـدروب مَشاه (٣)

مشى بـدرب المجـد ، والنفس تدفعـه
إلى شامـخ عِسْـر الـدروب سمـاه

« خالد » سنام الطايلات بـن « فيصـلٍ »
حجـا (٤) مـن ولجـا بـه والزمان وُطاه

ابشكي ، على فرز (٥) الوغى جاير الهوى
شطون الشِّفاوي (٦) ، والشفاوي تـاه

قِـدْ تـاه ببحـور الغـرام المظلمـه
دليـل الخَطَـا عن من يـريـد نحاه (٧)

---

(١) دك : هجم
(٢) الطنا : اللظى
(٣) مـَشاه : ممشاه (٤) حجا : حمى .
(٥) فرز : بطل . أي بطل الوغى .. (٦) الشفاوي : المشتاق
(٧) نحاه : نحّاه عمن يحب اي ان دليله قد اضله عن حبيبه

نحــاه عن حــيٍّ يــودّه مــن المــلا
ومــا فــات مــن يــوم يزيــد غلاه

غلاه في قلبــي تجــدد عــلايمــه
وتكتب عــلى القلب الدريك (١) سماه

اسمــاه وان عرضت مع الناس صفّقت
محــاني فــؤادي والحبيــب رمــاه

رمــاه بسهوم المحــاجر وجنــدلــه
قليــل الفــزع ظلــم الحبيب دهاه

دهــاه بالفرقا (٢) وقلبي لــه انتحــا
تلّــه (٣) ومــن بيــن الضلوع لواه (٤)

لواه يــوم انــه على الحب يلتــوي
ومــن ديّنــه ديــن الجميــل أوفــاه

اوفيــه بــالروح العزيــزة ولو غلت
روحٌ تِبــي روحٌ تحــب جــزاه

---

(١) الدريك : المدرك . (٢) الفرقا : الفراق .
(٣) تلّه : انتزعه (٤) لواه : شد عليه .

اجـزاه لـو انـه رماني وجـاد لي
يَمْحـا (١) خطا الغالي عظيم إرضـاه

إرضاه يبهج خاطري عقْب ضيقتـه
ويرتـاح قلب بـالفـؤاد فـراه (٢)

فـراه في وسط المحـاني وعـذبـه
وان عـذبـه سهـلٍ عليـه دواه

أدواه عنـده هـو سبايب مصايبـه
واشفـاه مـن كوثـر نظيـم شفـاه

ارجيـه لـو دونـه من الناس حاسد
رجـايْ بـالله مـا قطعت رجـاه

ارجيـه لـو دونـه جموع تصدّني
وحبـل الـرجـا يضفـي عليَّ إرشاه

وبهذا ينتهي القسم الأوَّل . وانتَ واجدٌ فيه روحاً خفيفةً ، عذريّة الهوى ، مُشبعةً شفافية .. وهي – على أية حال – صورة عن ذلك اللون من الغزل الرقيق الفطري . الذي انقطع منذ عهدٍ بعيد .. ولم يعـد يتنفّس الا في منابت عرار نجد ، ونسائم شميمها الأخّاذ ! . واني ليروق

---

(١) يمحا : يمحو (٢) فراه : جرحه .

لي – بشكل خاص – المعنى الجميل الذي طرقه الشاعر حينما اعتبر تعلقه بحبيبه ديناً عليه هو لذيّاك الحبيب ... يتوجب عليه الوفاءُ به وله . ألا ترى ، في هذا ، فطرة الشاعر المجبولة على فرط الاحساس بنخوة الوفاء الموروث ! ؟ انه لكذلك عند عارفيه ! .

وينتقل الشاعر ، بعد ذلك ، الى لونٍ آخر . انه ، هنا ، ينقل تجاريبه ، وفلسفته ، كوصايا رواها الإبن – لحبيبه – عن الاب .. عن الجد :

وقــد قيــل للعراف في ماضيٍ مضى
هــذا لهــذا .. مــن هــذاك رواه (١)

ومــاذا قيل؟

ان يداً واحدة ، قليل نفعها ، وان رجلاً بلا قوم جديرٌ بان يخاف اعداءه . وانت . ايها الطالب من « النذل » نجدة ، انك لأبله : ان رجاءك في جبان خفة عقل وسفاه حلم ؛ فانما يُستنجد بالشجاع ، ويُرجى الكريم ان رفيق السراء ، فقط ، ينسى رفيقه اذا ضاق به الزمان . ذاك

---

(١) اي : رواه الجد ، للاب ، للابن . وهذا للحبيب . فهذه الوصايا ، اذن ميراث اخلاقي يتنقل كما يتنقل الدم . فهي رابطة خلق . وهذه رابطة دم وانتساب !

هو عون للدهر ! يساعد على المحنة لا يأمن الجار جانبه : يغتابك مع الشامتين . انه لمعروف فعلى داره دائماً سحابة سوداءُ من الشؤم واللؤم تغشاها وتغشى صاحبها ...

يُمنـا بلا يسرى قليـلٌ حَصيلهـا
ورجـلٌ بلا رَبْـع يخـاف اعـداه

مَهْبلـك يـا بـاغي من النـذل فزعْه
رجـواك من عنـد الجبـان سفـاه

رفيـق الرخـا ينسى مـودة رفيقـه
ليـا ضـاق من شين الزمـان نِساه

عـوين الدَهَر (١) ما يأْمن الجار جانبه
وليـا عرضت للشامتيـن شَنـاه ...

على داره السوداءَ تبنّـي خيـامهـا
عَوين الـدَهَـر شين السواد غِشاه

وانت . يا لبيب القلب . خذها ، مني ، وصيَّة .. اخصك بها ، وامنحك اياها . انها وصية لَقيها في ماضي الزمان « حميدان » (١) ذلك

---

(١) عوين الدهر : عون الدهر . اي المساعد على المحنة .

(١) اشارة الى حميدان الشويعر (شاعر شعبي) :

ولا تصافي بومةٍ في خرابه رب الدجى ما تهتني بهجوعه

الشاعر الحكيم ، فهو ارث لا يزول :

اختر من الأَصدقاء من هو اهلٌ لمودتك . هل ادلك عليه ؟ انه ذلك الذي تسبق يداه الى فعل الجميل ، ذلك الذي هو : دليلٌ الى معالي الأُمور ، بعيدٌ عن الخطإ . انما جل همِّه في الحياة فعل الخير . وطيِّب الذِّكر ..

ذلك .. لا يجول الخوف في قلبه ، ولا يعرف له مكاناً فيه ، ولا يتعدّى على حرمة جاره ، ولا تهرول بالفحشاء خطاه الى المحصنات . ذلك الذي يفرح به العاني الى ابعد حدود الفرح ، والذي يقرى الضيف بحلو اخلاقه ، ومعسول كلامه . بين يدي اكرامه له وقراه ..

ذاك .. اذا أَتاك مكروه ، من اعدائك ، تلقاه عنك قبل ان تتلقاه انت : صديقك صديقٌ له . وعلى اعدائك يدير رحاه ...

ذلك هو الصديق الحق : اصطفه لنفسك . إدّخره لك أَخاً وصديقاً . انه عونك اذا ضاق الزمان وتغيَّر الدهر .

تلك صفاته .. وهي صفاتٌ لا تخطىء !

خذ ، يا لبيب القلب ، مني وصيَّة
حميدان في ماضي الزمان لَقاه

اختــر مــن الخــلّان حــيٍّ تــودّه
تسبــق على فعــل الجميــل يــداه

دليــلٍ على العليــا بعيــدٍ عن الخطا
الطّيب في دنيـــا الحيــاةِ إمنــاه

مــا جال في قلبه مــن الخَوفِ جايــل
وان كــانَ مَرقــا الطايلات رقاه (١)

ولا ضعّف النفس العزيــزة لجارتــه
ولا هــرولــت للمحصنــات خِطــاه

يَفرح به العاني ليــا حدّه القصى (٢)
وللضيف معسول الــكــلام نيـــاه

وان جــاك من يمّــة معــاديك ريبــه
مــن قبــل مــا تــاطا عليــه وِطــاه

صديقك صديــقٍ لــه وضدك يضدّه
وعــلى روس عُدوانــك تِــدير رحاه

---

(١) اي اذا صعبت طريق المعالي صعد اليها
(٢) القصى : منتهى الشدة . والمعنى : الى ابعد حدود الفرح .

هـذاك حِطّـه لـك رفيـقٍ مـوالي

عـونك ليـا (١) زاد الزمـان بـلاه

وبعد هذه النفحات الجميلة التي ترسم صورة مشرقة « للصديق » الحق . يعزّزها الشاعر بسلسلة من الشواهد التي تكشف عن ملاحظةٍ دقيقة .. وحكمة عميقة ..

يقـول :

مـا يفصـل القـالات الا رجالهـا

ولا كـلّ مـن شيّـد بنـاه حمـاه

ولا كـل مـن رَكِبْ الجوادْ عدا بهـا

عـلى حـامـيَ الهيجـا وحرٍّ لظـاه

ولا كـلٌّ من نَوّى لـدارٍ رحـلْ لهـا

يمـوتْ مـا لَحّـقْ هـواه منـاه

ولا كـل من رام المراجـل ينولهـا

يـا عَسَرْ مقضبهـا (٢) عـلى يمناه !

ولا كل من رَكِبْ المطايـا غزا بهـا

ولا كـل مـن رام الغـريم قَـواه

(١) ليا : اذا .

(٢) المقضب : اي المقبض . ايِ ما اعسر مقبضها !

ولا كـل مـن يبرمْ عهودٍ وفا بهـا
يطغى على فعـل الجميـل رداه

ولا كـل مـن وُدِّع لِسر يصونـه
وكـم واحـد سرَّ الصديـق ابـداه

ولا كـل مـن حصَّل حلالٍ صَخا به
يبيـن بالـوقت الشديـد صخـاه

ولا كـل من جالسْ هَل العلم عالِـم
وكـم عـالم ضرًّ العبـادْ خطـاه

ولا كـل مـن نالـه جميـل يردّه
ولا كـلُّ مَـنْ شاف الحريـب نصـاه

ولا كـل مـن سلَّ السنانَ صطا بـه
يمـوت وسنانِـه جضيع (١) إخبـاه

ولا أراني بحاجةٍ الى شرح هذا المقطع الجميل ؛ فان كل بيت من هذه الأبيات ليجد مصداقاً له في كل ما تقع عليه العين ، او يدركه الحس ، أو تقتضيه الملاحظة ..

فما كل من شاد بناءً يستطيع ان يحميه . ان احراز النصر قد

(١) الجضيع : الضجيع . اي انه يموت وسنانه مضطجع في خبائه .

يكون سهلاً . ولكن الشيء المهم هو : حماية النصر . ولقد تجد « فرساً » اصيلاً .. ولكن ما كل من يركب عليه قادراً على ان يخوض الهيجاء .. وكم هم اولئك الذين « ينوون » شيئاً ؛ فتقصر عنه اعمالهم .. فليس كل من « ينوي » لدار رحل اليها . ان كثيرين ليموتون قبل ان يحققوا ارادتهم .. وقلْ كذلك في امور عديدة .

فما كل من يهوى امجاد الرجولة ينالها . انها تتطلب شروطاً عسيرة على الجبناء والضعفاء .. وما كل من يملك « المطايا » يغزو بها ، ولا كل من رام « غريمه » اصابه . ان من تطغى قبيح اعماله على جميلها لا يمكن ان يفي بعهدٍ قطعه .. وكتمانُ السر وقفٌ على الكريم ، فلكم من « واحد » افشى سر صديقه واذاعه . وانما يتبيَّن ، بالشدة ، كرم الكريم . ان السخاء خلة وسجية وليس اكتساباً . لذلك فالشدة هي التي تكشف عن جوهر الكريم الحق . فما كل من يملك مالا يسخو به ...

كذلك .. ليس من جالس اهل العلم يصبح عالماً . فكأين من عالم الحق بالناس افدح الأَضرار !

اخيراً : ليس كل الناس كراماً وشجعاناً . ليس كل من « نال الجميل » يردُّه . [وقديماً قيل : اتقِ شرَّ من احسنتَ اليه] وليس كل من رأى الحرب ودعاه داعي الفدى هبَّ وتقدم . ولا كل من هزَّ السنان تقدم به الى الطعان . ان الجبناء يموتون وسيوفهم في اغمادها ...

والآن يبدو الشاعر .. وكأنما قد مهّد ، بكل ذلك ، لموضوعه الذي اراده لملحمته هذه لقد رسم الفضائل والرذائل معاً .. وعليه الآن ان يبين اين تقف « قبيلة الدواسر» من ذلك وعليه ان يبرهن على ذلك بوقائع التاريخ ..

وهذا هو ما عمله ..

يقـــول :

يـــا نـــاشدٍ عني وانـــا لي قبيلـــــه
لهـــا المجـــد زايـــد بـــالـــرفاع بنـــاه

لقد بنا هذا المجد الرفيع «زايد» وجاء « عامر » (رئيس قبيلة الدواسر وجـــد الشاعر) ليكمل بناءه ، ويشيده تشييداً . لقـــد عبـــد طريق المعالي للمستجير به . انه لا « يجيره » فحسب بل انه يسلك به طريق المعالي . وتلك غاية النخوة ، تبلغ غاية الكمال ، في رجل من الرجال :

وكمـــل بنـــاء المجد عـــامر وشيده
طريق المعـــالي للـــدخيـــل مشاه

وآيـــة ذلك ؟

معركةٌ عظيمةٌ جرت . وانها لتذكر محاطة بهالةٍ من النقاء واليقين

والوضوح من حيث السبب ومن حيث النتيجة . وانه لوضوح النصر الذي هوى تحت سنابكه الخصوم يئنّون من بلائه العظيم ..

هي معركة لا كالمعارك . وانها لصورة مرعبة يرسمها الشاعر في براعة . لهذه المعركة ..

انظــروا :

انها سحابٌ من الموت تهطل مدراراً . تتكاثر صواعقه الماحقه ويركب بعضها بعضاً على جبل « سلما » حتى لتتفتت منها قمم الجبال وتحور شظايا من حصى مسحوق ..

عاصفٌ من ثنايا « وادي برك » ، نشأَ وانطلق ، من الشرق ، مدمراً ، غاضباً ، مزمجراً ، ترعد مخايله غضباً وعنفواناً .. وليس له من حاد سوى الغيظ الذي في الصدور .

انظر اليه وقد غرّب : مخيفاً يطحن الغيظ ، ويطحن الغضب ، وما طال من رؤوس الاعالي وامتنع . انما هو « طماه » ...

لقد امطر على « الاعداء » وانهل وبله .. وغزيراً غزيراً امطرتهم سحائبـــه :

وهناك . في « قوز الشريف » . معالمه الكبرى . هناك ... تجمّـع

السيل ، وتدفّق . عنيفاً عنيفاً ، حتى اجتاح كل حواجزه وهدّ كل ماله من سدود !

انه سيلٌ من عجاج الخيل ، وبوارق البيض القصار ، والسمر الطوال ، ضاق به الفضاءُ . وضاقت به الارض !

تامل : هل ترى رؤُوس الابطال الصناديد سابحةً طافية على وجه هذا السيل المخيف ؟ ذاك هو غثاوُه .. وياله من سيلٍ يكون غثاوُه الرؤُوس والاعناق ! او ياله من شعر ، وشاعر يصف المعركة هذا الوصف الرهيب :

يـــا نـــاشدٍ عني وانـــا لي قبيلـــة
لهـــا المجـــد زايـــد بـــالرّفـــاع بَنـــاه

وكمّل مقـــام المجـــد عـــامر وشيّدَه
طريـــق المعـــالي للـــدّخيـــل مَشاه

كـــونٌ (١) جـــرى يذكر على واضحِ النّقـــا
الاشراف جضّت (٢) مـــن عظيـــم بلاه

مـــزنٍ تزبّر (٣) فوق سلّى (٤) صواعقـــه
تَشَظّف مـــن خشوم الجبـــال حصاه

(١) الكون : معركة (٢) جضّت : صاحت وتأوّهت .
(٣) تزبر : تكاثر وركب بعضه بعضاً .
(٤) سلى : جبل عند بلدة رينه .

نَشا (١) من ثنايا برك (٢) ترعد مخايلـه

مـن الشرق غيظٍ بالصـدور حـداه

وغرَّب مخيفٍ يطحن الغيظ والغضب

ومـا طـالَ مِـن رُوسِ الخشوم طمـاه

أَمطـر على الأَشراف وانهـلّ وَبلـه

عليهـم تنثَّـر بالغزيـر طهـاه (٣)

قوزُ الشريف (٤) اكبر علايم دلايلـه

سِيلِـه تـدفّق هـد كـل نيـاه (٥)

سِيلـه عَجاج الخيـلِ والبِيض والقَنَـا

رُروسُ النشامـا بـالحـزوم أَغشـاه

وماذا بعدُ ؟

يـأْبى الشاعر الا أَن يـأْتي بشاهدٍ من أَهلها . فانه لتشهد على ذلك ،

---

(١) نشأ : انطلق (٢) برك : وادي في نجد .

(٣) الطهاه : الرباب . وهي هنا بمعنى السحاب الماطره .

(٤) قوز الشريف : كثيب في اعالي نجد من الجهة الجنوبية .

(٥) نياه : حواجزه .

« العامريه » (١) تلك التي تأوهت « سبيع » لتأوهها . واعولت لعويلها .. وهي تبكي على الفرسان الصيد ، الذي يجيدون الضرب بالسيف والرمح ويحسنون الطعان . اولئك الذين « تعشوهم اللى بالحروب اعصاه » الذين تحوّلت دروبهم الى موائد ممدودة للضباع والسباع واصبحت مضافاً للذئاب العاوية .. وحتى طيور السماء لقيت البر من حصاد السيوف التي لا برء ، من ضرباتها ، ولا شفاء :

تَشهـد على مـا قلتَـه العـامريّـه
جضّت سِبيـع مـن عَـويـل بُكـاه

تبكـي على فتخـان (٢) الايمان غِلمَـه
تعشّوهُـم اللّي بـالحروب اعصـاه

والضبعـة العرجـا تعشّى بدربهـم
وكـم ضيّفـوا ذيبٍ يجـرٌّ عُـواه

والطير يلقَـى البرّ من حربِ شِلفِهـم
مضـاريبهـن يعيـي الطبيبَ دُواه

---

(١) كانت هذه المرأة من قوم يؤيدون الأشراف ، فذهب معهم ، ابناؤها التسعة ، واخوتها السبعة . ولكن الهزيمة حاقت بهم فقتلوا جميعاً وقد سجلت ذلك بقولها :

لا . يا عيالي تسعة واخواني سبعة   غدوا عند سمحين الوجيه آل زايد

(٢) الفتخان : الفرسان الذين يجيدون الضرب بالسيف والرمح .

نعم ! ماذا حل براجح وغالب وهما قائدا الحملة على عامر ؟ لقــد عادوا هاربين كما يهرب الصيد من الوحوش المفترسة .. لقد انهزموا على خيولهم الطوال . وولوا بسرعة ، جعلت حوافر الخيل تلتقي برقابها .. في رقصةٍ للهرب .. لا أوضح ولا أفصح !

لقد انهزموا ، بفعل حاملي السهام . من « آل زايد » .. اولئك الذين لهم وحدهم احنى السيوف صنّاعها . لانهم يروون حدّها من دماء الأعداء ويجعلون من رؤوس الأبطال عشاءها وغذاءها !

انهم لقومٌ اذا « عدا » عليهم عدو ، او زارهم خصم ، فإنما يذلّون كبرياءه بحد السيوف ، ويرحبون به باطراف الرماح !

لقد جاءهم « جريس اليماني » مستجيراً بهم ؛ فما لحق به اذى ، ولا وصل اليه عادٍ .. لقد حمته عن مطارديه اسود الشرى . ولا غرو فان اسود الشرى ، تحمي عرينها ، وتحمي المستجير به ، وتنجيه[1] ، ساعة الضيق ، و « تروي من دم الرقاب خباه » ..

لقد حموه .. ثم منحوه حريته . ثم ... « اغنوه » لسبب واحدٍ فقط .. لانه التجأَ اليهم ولاذ بحماهم . فحقٌ اذن لوجه « ابن بدران » [زعيم آل زايد] ان يتلألأ ويشرق نوره وضياه فخراً واعتزازاً فقد « صنع الجميل مع جريس » . ومنحه العز « آل زايد » يوم اراده العدو ، ولاحقه ، وسد عليه سبل النجاة !

« لعامرَ » تشهد اعمالُه الماضيه ، وافعاله المجيدة ، فليس بحاجة ، بعدها ، ان يشهد له احد ، ان افعاله لتشهد له عندما رماه « غالب » بالجموع ، والحشود : ليأخذ ، بالقوة ، المستجير به دون ان يخشىٍ الله او يرعى الذمام .. ايريد « دخيل البيت » ؟ هيهات ! انه لفي حمى اذن وفي منعة ! دونه حملة السهام القاتلة ، والسيوف الباترة . لذلك عاد « غالب » ذليلاً يتبع – في هروبه الموصول – السير بالسرى . وانه بعد الهزيمة ، ليعاني حرباً أُخرى .. حرباً شنتها عليه نفسه . فهو من الشكوى في هزيمة امر وانكى ! !

جاء .. « اعمى » من الغضب ، والكبرياء . وها هو قد عاد من حيث جاء ، اعمى ايضاً .. ولكنه – الآن – من الهزيمة والذل (١) .

لكم هو مزرٍ ، بمثله ، ان يتراجع اذا « هجم » . ولكم هو معيب

---

(١) هذا هو معنى هذا البيت :

اقفا مثلما جا. وهو يشكو العمى   اقفا من الذله يجر قفاه

ولذلك قصة : فان « غالب » كان قد قال عندما غضب على « جريس » : انه اصم . اعمى لن يرى ولن يسمع لأي قبيلة تأوي جريساً اليماني . واقسم ان يدمر كل قبيلة تأويه تدميراً . وقد آوته « قبيلة الدواسر » . ومن اجل ذلك كانت هذه المعركة . وفي البيت اشارة الى انه قد جاء اعمى ولكنه عاد كذلك ولكن من الهزيمة التي لحقت به ..

ان يتحوّل هديرُه ، كالجمل الهائج ، الى « رغاء » الناقة « الثكلى » :

وَش حـلَّ بالأشراف غـالب وراجـح
أقفَـو كمـا صيدٍ حـدتـه إضراه
اقفُـو على قُبٍ تخـافق مـع الوطـا
تنازا بطـوعـاتِ الرِّقـاب حِـذاه
مـن وَلبٍ عطبين السُّهـوم الي زايد
لهـم صَانـع السِّيف الصقيـل حَناه
حنـاه وارهف شذرتـه يـوم كمَّله
وعْطـاه لمـن هُـم بالحـروب عَـداه
حيث أنهـم يروون حـدَّه من العـدا
بـإيمـانهـم رُوس الفهـود عَشـاه
الى عـدا فيهم حـريب وزارهم
يعـدلون بحـدود السيوف صغاه
وجريس مـا طالـه مـن الظيم طايل
أُسُود الشرا عمـن يبيـه حجـاه
أُسود الشَّرا بـالضِّيـق تنجي دخيلهـم
ويـروون مـن دمٍّ الرقـاب ضبـاه
فكُّوه ثـم أغنـوه يوم أنـه التجـا
وجـه بن بـدران يـزيـد ضِيـاه

تجمَّل مع جريس اليماني وعزَّه
الزايدي يوم الدخيل عداه

يَشهد لعامر ما مضى من فعايلِه
يوم أنّ غالب بالجموع نصاه (١)

يبي دخيل البيت ما خاف خالقه
دخيل عطبين السهومُ إرماه

واقفا ذليعل يتبع السير بالسّرا
وحرب عنا له بالفواد شكاه

اقفا مثلَ ما جَا وهو يشكي العَمَا
أقفا من الذله يجرّ قَفاه

عيبٌ على مثلِه ليا هَدّ ينثني
تبدل من عقبَ الهدير ارغاه

وليست تلك كل امجاد « عامر » وقبيلة : « الدواسر » .

فلقد اجاروا « بن صباح » و « بن خليفه » الذين فاءُوا الى ظلال رمح « آل زايد » من هجير العدوان . عندما استجاروا به فأَخذ « ثأرهم » من عدوهم ، وانصفهم من ظالمهم .. انه لرمح « عصاهُ » من العز القديم !

---

(١) نصاه : رماه.

يشهد بهذا « الهدّار » ، ويشهد ، ايضاً ، بما حدث .. ويشهد بأن « آل زايد » قد انصفوا المستجيرين بهم ، وثأروا لهم من خصومهم حتى ارضوهم ...

لقد أعادوا حقوق « بن وائل » اليها .. ان قبيلة « جميلة » قد نالت حقوقها واستردت جاهها . (١) :

وابنِ صباح (٢) اذرُوه وبنَ خليفَه (٣)
رمحُ آل زايد ظلّهم بافياه

أخذ ثارَهم من ضدّهم يوم كادَهم
رُمحٌ من العزّ القديم عصاه

---

(١) القصة تاريخياً هي : ان ابن صباح – جد آل الصباح بالكويت – وابن خليفه – جد آل خليفه بالبحرين – . تعرض كلٌ منهما وقبائله الى عدوان قبائل اخرى : اجلتهم عن ارضهم ؛ فأستجاروا بقبيلة الدواسر فنصرتهم على خصومهم ، واعادوا اليهم بلادهم التي اغتصبها اعداؤهم بعد معركة دامية ، والرواية تقول : ان قائد الدواسر غرس رمحه ، بعد النصر ، في الأرض حماية لها . فلم يجرؤ احدٌ على الدنو منها ، حتى تسلمتها القبائل المستجيرة ..
وهذه الأبيات اشارة الى هذه القصة . وهي تسجّل – بصفة خاصة – حادثة الرمح الذي تفيأوا ظلاله ...

(٢) جد آل الصباح بالكويت (٣) جد آل خليفه بالبحرين .

يشهد به الهدّار واللي جرابه
دخيلُهم ثارَه عطوه قَضاه

فكُّو حقوقٍ للدخيل بن وايلٍ (١)
جميلية (٢) نالو حقوقٍ وجاه

وانما ذلك بفضل اولئك الذين لا يصَدّون عن محاربيهم .. اولئك الذين « يصكُّون » جباه الخصوم بجباههم . أي : يواجهونهم ويدنون منهم حتى تصطك الجباه بالجباه . !

ان منزلة المستجير بهم ، لفي اعلى السماكين دائماً . انه ليس سجيناً ، ولا مُمتنا عليه . ولا يمكن ان يتعرض لأذى او ضغط .. ان طريقه لبين « الفرقدين » .. يسرح ويجيء كما يريد . حراً عزيزاً . وهو في حمىً لا يُنال .. كأنه بجنات تظلله غصونها الوارفات . ولا يحل الا في « المنيف العالي » منها حيث يختار !

لقد سموا الى عرش المجدِ .. وعزائمهم مصابيحُ ظلماتٍ تزيح الدياجي عن رحابه ومغانيه . ألا أنهم لرجوم للمعتدين تسحقهم سحقاً . ديارٌ مفتوحة للوافدين والملتجئين اذا جف التراب وامتنع المطر ، وساد الجدب !

... واذا ما قطّبت السنون من العُسر ، وكشّرت الأرض من المحل ،

---

(١) قبيلة آل الصباح .
(٢) فخذ آل الصباح من قبيلة وائل ..

ونسيت الرياض ، لشدة الجفاف ، طبيعة الربيع ؛ فما يذكر لها نمىً . ولا ينبت لها عرار ولا زهر ولا يكون لها اريج...

... هنالك تراهم : يطلعون بوجوهٍ مشرقات متهللات . يكشفها النقاءُ ويدل عليها الجود ؛ فيحيلون الجدب الى ربيع والقحط الى خير .. فما يقصر عن ضيفٍ « قِراه » :

مِن ضَرب من لا صددُو عـن حريبهـم
يصكُّون بجبـاه الخصيـم جِبـاه

دَخيلهـم بأَعلى السمـاكيـنِ منزلـه
له بين نجـم الفرقديـن مَتـاه (١)

كنَّـه بجنـات تظلـه غصونُهـا
والنـايف الطـايـل يحـلّْ ربـاه

تعلّـو لعرش المجـدِ من قُو عزمِهـم
مصابيحُ ظلمـاتٍ تـزيح دُجـاه

مـراجيـمُ عـدوانٍ مرابيـع ملتجى
ليـا جفّ مـن وبـل المزون ثراه

(١) طريق واسع . اي انه في منتهى الحرية .

الى قطبتْ عِسْر السنيــن وجــذَّبت
ولا عــادْ يذكــرْ بالرياضِ كِمــاه

يهوشون (١) بوجيهٍ تكاشفْ من النقــا
والضيفْ مــا يقصُرْ عَليــه إقــراه

فيا سائلاً عني .. انني لمن « قبيلة » ورثت « قصر الندى » والجود فأَعلت بناءه ، وشيَّدت اركانه .. وعلى الفضائل شادت اعمالها وافعالها .. وحمايتها « للجار » مفخرةٌ على كل لسان ، في كل زمان ، وقصة تتناقلها الرواة جيلاً بعد جيل . ! .

و « بني زايد » . وحدهم ، في التأْريخ الذين ودوا « جارهم » (٢) من جدار انقضَّ عليه . وما من احدٍ ودى من قضاءِ الله ..

« واديهم » سهل الدروب . ولكن دونه ناراً من العزائم تحرسه وتنزِّهه عن السفهاء : سراجه وضياؤه مصقول الحديد . اما لظاه ؛ فانه عزمات القلوب الظمئى للمجد ..

---

(١) يطلعون او يقتحمون ..

(٢) اي « دفعوا ديته » . وفي هذا المعنى اشارة الى قصةٍ مروية هي : ان واحداً من المستجيرين بالدواسر سقط عليه جدارٌ فقتله . فلم يكن من «مجيره» من الدواسر الا ان ساق ديته الى اولاده. وفاءاً بحق الجيرة . مع العلم بان « الجيرة » لا تنسحب حقوقها الا ما يلحق « الجار » من قبل العدو ! . وقد ذهبت هذه القصة مثلاً حتى الآن .

لا عيب فيهم .. الا انهم « يرخصون » انفسهم للضيف . وان المستجير مضمونةٌ له السلامة . ان وجه الكريم ليندىٰ كماطر الحيا . وانمــا يعرف عند الموجبات كرمه ونداه ..

انما تحافظ على المكارم « حفاظة الشيم » الكرام . وان وجه الكريـم ليبث جلال كرمه ، وحياءه ، بدون تصنّع ولا كلفة .

انظر الى « جارهم » يرد على الماء النمير ، قبلهم ، وما من يوم ، عند الورود ، شكى ظمأً ولا غلة .. انهم لا يملونه مع الأيام ولا يضيقون به . وانما يزدادون به تعلقاً ، ويزدادون له اعزازاً ومودّة .. كلما تقادم به العهد عندهم . كر الغداة ومر العشيّ !

.. واذا مات خير منهم . وهو يذب عن وجهه وحماه ؛ فلأن مجدَ الذكر الطيِّب « مناه » من الحياة . انه ليعانق « مُناه » اذا هو عانق الموت في سبيل الفضيلة التي هي .. غاية الحياة ..

هم كذلك : شيباً وشباناً تزاحموا على المكرمات والأمجاد . وما هو بالأمر السهل . فان مدى الذكر الطيب ليتعب الرجال ..

انما كنيتهم « الدواسر » وانهم لكذلك . سُمّوا على اسم الفحول من الإبل الشديدة القوة ، العظيمة البنيان .. وانه « لا سمٌ على فعل » تـأمل : إنه ليتضح الشبه اسراً وقوةً وبناءاً :

يــا نــاشدٍ عني وانــا لي قبيلَــه
قصــر النَّــدا زادو عليــه بَنــاه

أشادُوا فعــولٌ بــالفضائــل وسَلمهُم
للجــار كــلٍ بــاللسانِ حكــاه

بني زايدٍ ادّو (١) جارَهم من جــدارِه
ولحــدٍ مــن اسبــابِ الآلّه وداه

لهــم وادي سهــل الــدروبِ ودونِــه
نــارٍ ينــزّح عــن احمــاه سِنــاه

سناه مصقول الحــديــد الصافي
وعزم القلــوب الصاطيات لظاه

عذرُوبُهــم (٢) للضيف ترخص نفوسُهم
والجــار مضمــون السلام إغطــاه

وجــه النَّــدا ينــدى كما ماطِر الحَيــا
يبيــن عنــد المــوجبــاتِ نَــداه

تعيى على الشيمــاتِ حفاظة الشيم
وَجْــهَ النَــدا لازِمْ يبش حيــاه

---

(١) اي دفعوا ديته .
(٢) العذروب : العيب . اي عيبهم .

قِصيرُهم (١) يـارد على العِدِّ قبلَهم
ولا شكـا يـوم الـورود ظمـاه

وإنْ زادت سِنينَـه تجـدد معزتـه
وكـل خطَـا جـارَه عليـه رفـاه

وإنْ ذِبْحْ منهم خَيـرٍ عنـد وجهِـه
وكسْب الفضِيلـهْ بـالحياة امنـاه

على الطِّيب شبـانٍ وشيب تـزاحمو
والطِّيب يتعـب للـرجـال مـداه ..

دواسر كَنيُـو على دوسر الفَحَل (٢)
واسم على فعـلٍ يَبيـن قـداه

من « الهضب » الى « الأَفلاج » ..

على هذه الرقعة الواسعة من الارض ظلوا يتعبون اعداءهم .و « يُقِرون » محابيهم مُر القِرى « ويا له من عشاءٍ » مر المذاق يقدمونه للأَعداءِ ..

ان وادي العقيق قد ظل ابـداً عزيزاً . لقد ظلوا « مُطهرين رحابه

---

(١) القصير : الجار

(٢) الدوسر : الفحل من الإبل . وقد سميت قبيلة الدواسر بهذا الاسم ، لان جد القبيلة : « زايد » كان يختار لحراسته اضخم الرجال واطولهم واشدهم قوة فسموا بالدواسر تشبيهاً لهم بالفحول من الإبل

ويوماً ما . لم يدس له ، بين العالمين ، حمى . ولم يقتحم له معقل .

تلك هي حالهم من عصّر « بن بـــدران » وتلك هي هي : ديارهم ولا عجب .. فما من احد قط قــد اعطى للخصم دارَه .. وهو بعد كريم شريف. !

من « الفزعة العلياء » الى « الخرج » .. تلك هي حدودهم ولم يكدر ، على « جار » فيها ، صفاؤه وهناؤه .. انهم لراسون ، في ارضهم ، مثل الجبال .. جبالهم هم . واذا ما كشر الزمان عن نابه فانهم حماتُه الذائدون

لقد حموه . حين « القنا يقرع القنا » . وانما لمثلهم ، رب العباد ، – تبارك وتعالى – شيدها وبناها . لقد خلقهم .. وخلق لهم هذه الديار . ذلك لأن الدار لا تصلح لمن لا يصونها .

الدار ؟

انها عورة . وانما الرجال سترها ورداؤُها (١) . !

لقد اخذوها عنوة ، بالمرهفات ، فكانوا نورها الساطع ينير ضياؤه

---

(١) ليت العرب كلهم يقرأون هذه الأبيات كي يعرفوا اي عورة كشفوا عندما سلموا ارضهم لشرذمة من شذاد الآفاق ، في فلسطين ، ولم يعرفوا كيف يحمونها .. ويدافعون عنها دفاع الرجال .

الظلمات ! لقد اخلى « بنو عقيل » (١) مغاني ديارهم . بعد ان سقت دماوهم ارض العقيق .. وخلفها عليهم « آل زايد » : « غلمة » لم يبيعوا العز ، ولا الشرف .. ولقد أنسى يومَ الردى فعلُ الجميل ...

ان مشارف « اليمامة » لتشهد بفعلهم . انه لفعلٌ « يعدّد العالمين مآثره » ويرددون الثناء عليه ..

هو « فعل على فعل » ! تتحادث به العرب . وترويه . وما من احد يكذب رواة مآثره على الأيام :

من الهضب الى الأفلاج مكدين ضدهم(٢)
وحَـريبهـم مـرٌّ المـذاق عشـاه
وادي العقيق مُطهَّرين جَنَـابـه (٣)
ولا دِيسٍ بيـنَ العـالميـن إحمـاه
مـن عصر بـن بدران هاذي ديارهـم
والـدار مَحـد للخصيـم عَطـاه

---

(١) « بنو عقيل » : قبيلة كانت في موضع قبيلة الدواسر ، قبل ان تأتي هذه فتجليها عنها وتخرجها عنوة . بقيادة زعيمها عامر بن بدران. ونزح بقايا بني عقيل . وهم يسمون الآن عقيل ، في القصيم ...
(٢) الهضب : جبل من حدود الدواسر . والأفلاج : مدينة معروفة في نجد . (٣) وادي العقيق : هو وادي الدواسر

من الفرعَه العِليا إلى الخرج حدهم (١)
بـه الجـار مـا كدر عليـه صفـاه

راسين مثــل جبال هضب آل زايــد
وهـم ليـا شان الـزمـان حمـاه

حموه يــوم انَّ القنــا يقرع القنـــا
ولِمثلهـم رب العبـــاد بنـــاه

الــدار لا تصلح لمـن لا يصونهـا
الـدار عـورة والـرجـال إرداه

دارٌ خــذوهـا بـالمـراهيف عِنوه
وهـم نورُهـا الساطـع ينير ضياه

بني عقيــلْ اخلُــو مغـاني ديارِهــمْ
بعـد دمهم بـارض العقيق سقاه

مـن غلمـةٍ مـا بـاعو العزّ والشرف
يـوم الـرَّدى فعـل الجميـل نساه

تشهـد مشاريــف اليمـامـه بفعلهم
فعـل تعـد العالميـن ثنـــاه

---

(١) هذه هي حدود الدواسر من الشرق الى الغرب على طول نجد .

فعـل على فعـل تحاكـا به العرب
محـد يكـذّب مـن يعـدُّ ثنـاه

والآن .. بعد هذه الجولات الموفّقة ، المفعمة بالبطولة ، منغّمةً بـأعذب الألحان . مرويّةً باجمل نشيد – يـأبى شاعرنا المغوار الا ان يعود الى استخلاص أروع ما تعطيه هذه الملحمة الطنانة من عظاتٍ وعبر ...

وهكـذا يقـول :

هرجٍ بفعـلٍ يشبـه المـاس بالـذّهب
وهرجٍ بلا فعْـلٍ يقـال : سفـاه

صحيح ! ان الفخر القائم على الحقيقة . على صحّة الفعْل هو شيءٌ جميل . « كما تلبس الماس بالذهب » . ولكن الفخر ، بلا فعل .. هذا الادعاءُ انما اقل ما يقال عنه : سفاه وهذيان ...

وشاعرنا .. انما يقول الحق .. انه لقول لا تكذب أمثاله . ان راويه لأصدق من « طيور القطا » الصادقة الحدس .. وانما « يعدّد » – يُكَرر – مجد الطيبين وافعالهم وان في هذا الصنيع لطراوة على النفس الكريمة تستروح منها انفاس البطولات الخوالد !

الذي يروم البطولة .. يروم فعل « الغانمين » ويبتغي شأنهم في الحرب ، امامه الطريق واضحة : ليحسن القتال . ليروِّ شبا السيوف من دماءِ الأعداءِ بلا جبنٍ ولا مذلّة ..

والذي يروم « فعل الغانمين » بمآثر البطولة ، وامجاد السِّلم امامه الطريق ايضاً : ليقِ « الجار » على الخصم مهما عظم .. ليذد عنه وليجعله عزيزاً آمناً مكرَّماً .. بلا منٍّ ولا عنتٍ ولا ارهاق !

ومن رام « فعل الطيِّبين » .. ونهدَ الى منازلهم واقدارهم .. فليبسط يده بالخير اذا ضاق الزمان ، فيحوّله الى سعةٍ لا ضيق فيها ...

... واذا ما كفَّ « همّال الحيا وامحل الوطا » وشحَّ ، حتى عن الطفل الرضيع ، « غذاه » في ثدي امّه .. وضاق الناس ، وامحلت الأَرض ... فليكن كريماً .. لا يخشى الإنفاق .. لأَن ذلك ثمن الذكر الباقي ، والمجد المدَّخر !

... واذا لانت بالناس الشدة ، وانفرجت المحنة . فليكن صبوراً . لا يستعجل احداً يداً أسلفها له . ولا يتقاضى ثمن طيِّبٍ عمله ..

ان « النذل » لا يستطيع ، ابداً ، ان يأْتي اعمالاً تُبقي له الذكر الطيب .. انه لا يقدر عليها . ولا عجب ! فان اللّيل لا يمكن ان يشبه جلال الضحى ووضوح جماله ...

أَلا . إنما يجود الفتى .. لشدة حيائه وخجله . انه ليخشى قالة السوءِ من خلفه ؛ فيتقيها ! لذلك . ان الحياء سمة الكريم ..

أَلا . قولوا لطلّاب المجد والثناء : اسلكوا نهج الشرف . ليكن الصدق

رائداً .. اتبع سبيل الوفاء .. وكن نقياً .. فان « العرض النزيه » لا تلحقه مذمّة ولا يلصق به بُهتان ...

حينذاك يأْتيك المجد .. ويأْتيك الثناءُ ذُللا !

ان الذي يسير في طريق الغواية ويسلك دروب الدنايا . يزوره « الخنا » . ويلصق به ، ويلبسه من اسلاب الشيطان كساءاً من السواد المظلم .. كاعمال الشر !

فابعد .. أبعد كثيراً عن هؤلاء الأَنذال . واهجر ديارهم . فما هم لك بأَهل . وليست دارهم لك بدار .. انه لينجيك من الوجه الخبيث ، والعرض المذمّم . البعد عنه .. والنوى البعيد :

هَرج بفعلٍ يشبه الماسَ بالذهب
وهَرج بلا فعلٍ يقال سِفاه
نعدُّ قول ما تكذِّب مثايله
راويه اصدق من طيورِ قطاه
نَعُد مجد الطيبين وفِعلَهم
وإذكار فعل الطيبين طَراه (١)

---

(١) الطراه : الطراوه

مـن رام فِعـل الغانِمِين وشَأْنَهـم
السَيف يَـروِي مـن عِـداه . شَبـاه

مـن رام فعـل الغانميـن وسَلْمَهـم
الجـارْ عـن الخصم العظيـم وقـاه

مـن رام فعـل الطيبيـن وقدرهـم
يبـذلْ ليـا ضـاق الزمـان فضـاه

إن كف همَّـال الحيـا وامْحَلَ الوَطـا
وشَخْشَحْ عـن الطفـلْ الرضيع غذاه

يكـرم ليـا ضَاقَتْ على الناس وامحلوْ
ويصبرْ ليـا منّ الـزمـان وطـاهْ

النـذل ما يقـدر على طيب الثنـا
والليـل مـا يشبه صَـدُوقْ ضحاه

يَجود الفتى بالجـود مـن زايدْ الحيا
يخـاف مـن بـالعـايبـاتِ قفـاه

قولـوا لطلّاب الثنـا يتبـعَ النقـا
ولا يلحـق العـرض النـزيـه شناه

ومــن سارْ بدروبْ الرَّدى زاره الخنا
ويلبسْ مــن أسلابْ السواد كساه

أبعــدْ عن الانــذال واتــرك ديارهــم
يفكك مــن الوجــهِ الخبيث نياه (١)

وكأنما الشاعر .. لا يريد ان يكتفي بذلك .. انه يريد ان يميز الخبيث من الطَّيب . ويحدد طبائع « الاجواد » وطبائع « الاوغاد » حتّى يُعرفَ كلٌ بسيماهم .. فلا يكون ، ثمة ، لبس ولا غموض . انــه يحدد الطبائع .. ويرسم السلوك في مقابلة فنيَّة . طويلة وصادقة يختتم بها هذه « المعلقة » الجميلة .. انه يريد ان يتركك على بيِّنة .. ليفضي بعمله الجليل هذا الى مداه لكي لا يكون التاريخ حكايات تُروى فقط .. بل مدداً ، وعظة ، لاجيالٍ تنشأُ على مكارم الاخلاق ..

ان آيات « الاجواد » لفي وجوهها : حياءٌ وكرم ومهابة .. امــا « الانذال » فكالحنظل المر لا يذاق لــه جني ..

« الاجواد » .. لا يمكن ان تنوي بك الغدر . ان هذا الشعور لا يمكن ان يخطر لها على بال . انها لكريمة لا تحملك على « المرديات » من الأُمور .. وهي واضحة كالصدق ..

---

(١) النيا : البعد ..

اما « الانذال » فغيْبٌ من الغيوب لا يُعرف له قعر . ولا تقف منه على كنه..

ان فعل الخير للذةٌ قصوى لنفوس « الاجواد » . بل هي كل لذّتهم .. اما « الانذال » فان « الخنا » يجللهم بعاره وشناره !

انما « الاجواد » كالجنات التي تتعاقب مياهُ انهارها ، وتتجدَّد ؛ فانت منها بين ظل ، وماءٍ وعطرٍ وسعادة . ولكن الانذال صخُورٌ من الصّلد لا ينبت فيه نبت .. ولا تعلق به الا ذرات السُّموم ..

... واذا كنتَ مع « الاجواد » فانها تصف لك طريق المعالي . وتدلك عليها . ولكن « الانذال » انما يسلكون منعرجات الطرق ، ويهدون الى عسيرات الدروب ..

كالورد ، عطراً روائحه ، هم الاجواد » !

وكالزقوم « يطير سفاه » هم « الاوغاد » !

« للاجواد » ابواب يسرٍ ومعزَّة .. واما « الانذال » فعسرٌ كله . « ما عليه شقاه » !

أتعرف ؟ اذا ما زلّت ، بجار ، قدم . في حقهم ؛ فان « الاجواد » يغفرونها . ويمحونها . وليس كذلك « الانذال » الذين يجزون ، حتى الاقربين ، شرور اعمالهم !

مثل النهر الصافي الرقراق عذباً شرابُه ... هُم « الاجواد » !

وسبخةٌ ، مالحةٌ ، قذرة المنبت .. همُ « الاوغاد » !

انما تبذل فضلها .. ومالها — دون عرضها — « الاجواد » ! وعلى العكس همُ « الاوغاد » مدنسة اعراضهم دائماً ... عراة من كل خلق او فضيلة ..

أتعرف الربيع .. الواناً فنونه ، وفتوناً مباهجه ؟ اتعرف « الريف سعداً سعوده » ؟ اذن لقد عرفت « الاجواد » !

ولكن ايكون للزمهرير قحط ؟ نعم ! ان « الاوغاد » لشتاءُ ذلك القحط الزمهريري المخيف !

انك لتأمن شر « الاجواد » وانت في موضع قدرتهم . غير ان «الاوغاد» شرٌ صرف . بلاؤه لا يطيب .. فانما يطيب البلاءُ في المكرمات !

« الاجواد » صبحٌ تمشي في ضوئه . انهم يبذرون « حبات الندى » حيث ذهبوا ؛ فتمرع وتخصب ، انهم لا يجحدون اعمال الخير . ولا تلحق بعزيزٍ ، من قبلهم ، مذمّة .. انهم عز الجار .. وسلام الضيف .. في الذروة دائمـــاً .

وفي الحضيض .. في الدرك الاسفل منه يقف « الأوغاد » : ليلٌ مظلم ابداً . صباحُه كمسائه .. انهم يجحدون كل خير . ما يطيب

لهم خطوٌ ولا أَثر . يزرون بالصديق .. ويظلون قذىً في عين العزيز :

الاجواد آيات النَّدى في وجيهها
والأَنذال شريٍ (١) ما يذاق جَناه

الأَجواد ما تنوي بك البوق والردى
والأَنذال غيب ما يعد غِياه (٢)

الاجواد فعل الخير لِذة نفوسِهم
والأَنذال ملزوم يشاف خَناه

الأَجواد جنات تعاقب نهورُها
والأَنذال صلداً من صخورٍ صَفاه

الأَجواد تاصف لك طريقٍ يدِلّك
والأَنذال عسرات الدروب إقداه

الأَجواد مثلُ الوردِ عطرٍ روايحه
والأَنذال زقوم يطير سَفاه

الأَجواد فيهم باب يسرٍ ومعزة
والأَنذال عسرٍ ما عليه شِقاه

---

(١) الشرى الحنظل . (٢) الغياه : المجهول .

الأجواد زلـةْ جـارِهـم يدمحونها (١)
والأنـذال تجـزا الأقـربيـن جَنـاه

الأجـواد مثـل النهر حلـوٌ شرابُـهْ
والأنـذال صبخـاة (٢) ملاح مـاه

الأجـواد تبـذل فضلها دون عَرضِها
والأنـذال دنسِيـنَ العُـروض عِـراه

الأجـواد مثل الـريف سَعْدِ سعـودُه
والأنـذال قحطٌ الـزمهـرير شتِاه

الأجواد تأْمـنْ شرهم وأنت عندهـم
والأنـذال شرٌ مـا يطيب بَـلاه

الأجواد مثـل الصبحِ تمشي بنـوره
والأنـذال ليـلٌ مظلـمُ مِمساه

الأجـواد حبّـاة النـدى يبـذرونهـا
والأنـذال تبـذرْ بـالرخيص رِيـاه

الأجواد فعـولْ الخير مـا يجحدونهـا
والأنـذالْ حـزمٌ مـا يطيب حِفـاه

---

(١) يدمحون : يغفرون (٢) الارض المالحة .

الأجــواد مــا تِلحِق عزيزٍ مــذمّــة
والأنــذال تنطــق بالصديــق زَراه

الأجــواد عــزٌ الجار والضيف سَلمُهم
والأنــذالْ بعيــون العزيــزِ قِــذاه

تلك هي المقابلة بين صنفين من الناس . نراهما . في كل زمــان ومكان . مقابلةً اعترف اني قد اسأتُ اليها بهذا الشّرح الذي لا يعكس جمالها .. خاصة اذا الحجنا على ان « الأجواد » هنا انما تعني « الاخلاقيين» وان « الأوغاد » انما تعني « اللاأخلاقيين » حيث كانوا ومن كانوا .. بلا تصنيفٍ ولا استثناءٍ ..

ثم ماذا ... ؟

ان من يطع النفس الامارة بالسوءِ على التردّي ؛ فانه يرخص . ولن يبقى شيءٌ مكتوماً .. ان « خفاياه » ستنكشف للعيون . انه سينسى « الجار » ، وتلك جريمة لا تغتفر ، ويجفو الضيف . وذلك منتهى السقوط . حينئذٍ يرخص .. وتظهر للرجال رداءته !

من يطع النفس الذليلة ، وينزل على هواها تقصر عن العز الرفيع « خُطاه » . ان معالي الأُمور . انما تحرز بالجد ، والترفُّع ، والعزم . ومَيِّتٌ من يطلب الإنتصار بالتمنيات . ان الأماني لسراب دو تموّهه

الظلال الخادعة .. انه يموت ولم يكسب .. الا ما يكسبه « الصوت » في الفجاج الخالية : لا شيءَ غير الصدى ! !

يموت « طَلَّاب التماني – الأَماني – » وانما مثله كمن يزرع الحنظل ويرجو زكاءَ ما زرع ! انه يموت بحسرته . ان الاماني ، مهما كثرت ، لن تعيد له « صباه » .. فهي ، اذن ، لن تعيد له ، ولن تحقق له ، شيئاً

فدع التمني ! دعْها . واجهد ، وثابر ، فانما بالعمل وحده تتحقق الاماني . وانما الاماني بلا عمل .. كاحلام الكرى سواءً بسواء .

يقول لك هذا كله . مجرب عرك الحياة . يقوله لك . ذلك الذي عذبه هوى القلب . ودعاه داعي « غرامه » » فلبّاه مطيعاً – كما يبدو ! – فاوحى اليه هذه القصيدة العصماء :

مـن طاوعَ النفسَ الذليلَــه على الرَّدى
يرخصْ ويظهــرَ للـرجــالْ خفــاه

مـن طـاوع النفس الـذليله على الرَّدى
ينسى الجــار والضيف العزيز جفــاه

من طـاوعَ النفْس الذليلـةْ على الــرَّدى
يرخصْ ويظهــر للــرجـال رداهْ

مـن طاوع النفس الذليلـه على الرّدى
تَقْصُر عـن العزّ الرفيـع خطـاه

يموت طلّاب التماني (١) على الشّقـا
سرابُ دوٌ والظـلالُ غَطـاه

يمـوت طـلاب التمـاني ومكسبْـه
كِمـا صَايحِ صوتـهْ يـردُّ صداه

يموت طـلّاب التمـاني ومثلَـه
مـن يـرجـى الحنظـلْ يزينْ نماه

يمـوت طلاب التمـاني بحسرتـهْ
وكثـر التمـاني مـا تعيـد صِباه

ابـا التمـاني لا تمنّـى وخلّهـا
تـرى التمـاني والحُلـوم (٢) اشباه

يقـولها لك من هَـوا القلب عذّبـه
وداعـي غرامِـه للغـرامْ دعـاه

---

(١) التماني : الاماني

(٢) الحلوم : الاحلام . اي احلام النوم .

وبعـــد

فتلك هي « الملحمة » التي احتوت ذكر أهم امجاد « آل زايد » وابرزها – ومن هنا سميت الملحمة الزائدية – . واذا كان شاعرنا الممتاز قد اتخـــذ نقطة الانطلاق ، من قصة «جريس» اليماني .. فانه قد نوّه بشكل باهر ، بقصة استيطان اجداده لهذه الأرض وحمايتهم لها . ووصف اخلاقهم التي يتوارثونها حتى الآن . وعدد مآثرهم واياديهم . كما رأيت .

وانها لقصة بديعة .. يحكيها شعرٌ بديع . في امةٍ استيقظت لتأخذ زمام القيادة من جديد ، في ظل ملك رشيد . اعني فيصل بن عبد العزيز الذي اهدى شاعرنا قصيدته الى نجله الكريم . تعبيراً عن هذه العاطفة الصـــادقـــة !

ولا بد لي قبل ان اختم هذه المقدمة ان اسجل امرين :

الأول : اعتذاري للشاعر الصديق العزيز ، على هذا القصور في الشرح الذي لا يرتفع الى مستوى قصيدته . واذا كان قد سجل على نفسه بان « الاجواد » يغفرون تقصير الاصدقاء فانني على يقين من قبوله العذر لذلك التقصير ..

الثاني : ان الهدف الرئيسي من هذا الشرح هو تمكين القارىء

العربي من الإطلاع على أدب الجزيرة الشعبي . ولا يمكن ان يكون الشرح في جمال وعذوبة القصيدة في اصلها . وبلهجتها . والمهم ان اكون قد قربت له تذوقها قدر الإمكان .

تحية للشاعر الصديق .. ومودة !

المنتصر اليماني

الملحمة الزائدية

١ – عفا اللهُ عن قلبٍ يزيدْ عناهْ
وداعي غرامِه لِلغرامْ دعاهْ

٢ – ما طاعَ عَذّالٍ يَعذلهْ مِنَ المَلا
وإن سَمِعْ عَذّالَهْ يزيدْ عَنَاهْ

٣ – الى تَوسَّع خاطِره رُبْعْ ساعَه
على الضيقْ دَاكوكَ الهمومْ نَحاهْ

٤ – قلبٌ بَراهَ مجادلُ الظِّيمْ والعنَا
الظيمْ من بينِ الضلوعِ براهْ

٥ ـ دع القلبْ يـا عَذّالْ خَلّهْ بغايتِهْ
هـواكْ مـا يتبعْ طريـقَ هَـواهْ

٦ ـ دع القلبَ يـا عَذّالْ عَذْلكْ يضره
يزيـدْ يـا عاذلَ عليــهِ شَقـاهْ

٧ ـ كُونَّـهْ الايـامْ لِيْـنْ أَوجعنَّـهْ
وعِزّي لمـن حَرّ الـزمـانْ كـواهْ

٨ ـ يَكويــهْ من هَجر النّيـاحاميَ الطنا
يضيــقْ بهْ من مـّا دهـاه حشاهْ

٩ ـ يحنْ حنَـاتْ الخَلُوجْ لجنينِهـا
والخلْجْ مفهـومْ تِحـنَّ ظنـاهْ

١٠ ـ ما حِزنَهـا حزنِهْ ولا رُبْعْ مـا بَهَ
وحياةْ مــن نَشّا السحابْ بمـاهْ

١١ ـ على جادلٍ ما شافتْ العينْ مثلَها
أَحيَا بِذكرَي مــن هَويْتْ القــاهْ

١٢ ـ عَشِيرٍ شرابي مـن مناظِيمِ مَبْسِمه
يَجْلَا عـن القلبِ الدريكِ ظمـاهْ

١٣ ـ أَداريه عن شيءٍ يحسّهْ ويغضبَـهْ
وإلى زِعِلْ يصعبْ عليَّ ارضـاهْ

١٤ ـ ان دكَّ بي مِن حامي البيـنِ هاجسْ
وجَرعتْ مـن حرِّ الغـرام طنـاهْ

١٥ ـ تذكرتْ من طَلَّابَـةِ الجـودْ نادرْ
رفيعَ الذرَّا عسر الدروبْ مَشاهْ

١٦ ـ مشَى بدربِ المجدِ والنفسْ تدفعَهْ
الى شامخ عَسْرَ الدروبْ سَمـاهْ

١٧ ـ خالدْ سنامَ الطَّايلاتْ بنَ فيصـلٍ
حجَامِنْ لجَّابِه والزمـانْ وُطـاهْ

١٨ ـ أَبَشْكي على فِرزِ الوغا جايرِ الهـوا
شُطونَ الشِّفاوي والشفاوي تـاهْ

١٩ ـ قِدْ تـاهْ بِبحُـورِ الغرامِ المظلمَـهْ
دَليـلْ الخَطَـا عن مَنْ يُريـد نحاهْ

٢٠ ـ نحاهْ عن حَيٍّ يودَّهْ مـن المـلَا
ومـا فاتْ من يوم يزيـد غَـلاهْ

٢١ ـ غلاه في قَلبي تجـددْ علايمُـه
وتِكْتَبْ على القلبِ الـدريكِ سماهْ

٢٢ ـ اسماهْ وانْ عَرضتْ مع الناسْ صفَّقتْ
مَحـانى فؤادي والحبيبْ رمـاهْ

٢٣ ـ رمَاه بسهوم المحاجرْ وجندلَـهْ
قِليـلْ الفزعْ ظلمَ الحبيبْ دهـاهْ

٢٤ ـ دهاهْ بالفرقَا وقلبي لِـهْ انتحـا
تِلَّـهْ ومِن بيـنِ الضلوع لـواهْ

٢٥ ـ لواهْ يومَ انَّه على الحبِّ يلتـوي
ومـن ديَّنَـه دينَ الجميلِ أوفـاهْ

٢٦ ـ أوفيــهْ بالروح العزيــزهْ ولو غلتْ
روحٌ تِبى روحْ تحبُّ جــزاهْ

٢٧ ـ أجزاهْ لــو أنَّه رماني وجــادلــي
يَمْحــا خَطَــا الغالي عظيمَ ارضاهْ

٢٨ ـ ارضاهْ يبهجْ خاطري عُقبْ ضِيقتِه
ويرتــاحْ قلبٌ بالفــوادْ فــراهْ

٢٩ ـ فراهْ في وسطِ المحــاني وعذَّبــه
وانْ عــذّبه سهلٍ عليــه دواه

٣٠ ـ أدَواه عنــدَهْ هو سبــايَبْ مصايبــهِ
واشفاهْ من كوثــرْ نظيم شِفــاهْ

٣١ ـ أرجيهْ لو دونهِ من النــاسْ حاسدْ
رجــايْ بــالله ما قطعتْ رجــاهْ

٣٢ ـ أرجيه لو دونهِ جمــوعٌ تصِــدَّني
وحبلُ الرجــا يضفــي عليَّ أرشاهْ

٣٣ – وقدْ قيــلْ لِلعرافْ في مــاضيٍ مضى
هٰذَا لهٰذَا مــن هَــذاك رَواهْ

٣٤ – يَمناً بِلا يَسريَ قليــلٌ حَصيلُهــا
وَرجــلٌ بلا ربــع يخافْ أَعــداهْ

٣٥ – مَهْبَلك يا باغي من النذلِ فزعَــه
رَجواكَ مــن عندِ الجِبانْ سِفــــاهْ

٣٦ – رفيقَ الرَّخــا ينسىٰ مودةْ رفيقِه
ليا ضــاق بــه شينَ الزمانِ نساهْ

٣٧ – عَويْنَ الدَّهر ما يَأْمَن الجارَ جانبَــه
وليا عرضتْ للشامتين شَنــــاهْ

٣٨ – على دارِه السودا تَبنِّــي خيــامَها
عَوينَ الدهــرَ شِيْنَ السَّوادْ غَشَاهْ

٣٩ – خذْ يا لبيبَ القلبِ منِّــي وصيِّــه
حَميدانْ في ماضي الــزمــان لقــاهْ

٤٠ ـ اخترْ من الخِلانْ حيٍّ تـودُه
تسبقْ على فِعْلِ الجميـلِ يـداهْ

٤١ ـ دليلٍ على العليَا بعيدٍ مـن الخَطا
الطِّيبْ في دُنيـا الحيـاةِ إمْنـاهْ

٤٢ ـ ما جالَ في قلبهِ من الخـوفِ جايِلْ
وانْ كـادَ مَرقَـا الطايلاتِ رَقاهْ

٤٣ ـ ولا ضَعَّف النفسَ العزيـزهْ لجارتِه
ولا هرولـتْ للمحصنـاتِ خِطـاهْ

٤٤ ـ يفرحْ بـهِ العاني ليَـا حدّه القصىٰ
وللضيفْ معسولُ الكلامْ نِيـاهْ

٤٥ ـ وانْ جاك من يمـةْ معـاديكَ ريبَه
من قبْلْ مـا تاطا عليهْ وِطـاهْ

٤٦ ـ صديقكْ صديقٍ لـه وضدّك يضدّه
وعلى رُوسْ عدوانِك تِدير رِحـاهْ

٤٧ ـ هذاكْ حطِّه لكْ رفيقٍ موالي
عَوْنَكْ ليَا زادَ الزمانْ بَلاهْ

٤٨ ـ ما يفصلْ القَالَاتْ الَّا رجالَها
ولا كلَّ من شيَّد بِناهْ حمَاهْ

٤٩ ـ ولا كلَّ من ركبَ الجوادْ عدا بها
على حاميَ الهيجَا وحَرِّ لظاهْ

٥٠ ـ ولا كلُ من نوّي لدارٍ رحلْ لَها
يموت ما لَحَّقْ هَواهْ مُناهْ

٥١ ـ ولا كلُ من رامَ المراجلْ ينولُها
يا عَسَرْ مقضبها على يمناهْ

٥٢ ـ ولا كلُ من ركبَ المطايا غزا بهَا
ولا كلُ من رامَ الغريمَ قُواهْ

٥٣ ـ ولا كلُّ من يبْرمْ عهودٌ وفا بهَا
يَطْغِي على فِعْلِ الجميلِ رَداهْ

٥٤ ـ ولا كلُ مِنْ وُدٍّعْ لِسِرٍ يصـونَـهْ
وكمْ واحدٍ سرَّ الصـديقْ أَبـداهْ

٥٥ ـ ولا كلُ مـن حصَّلْ حلالٍ صخا بِه
يَبينْ بالـوقت الشديـد صخـاهْ

٥٦ ـ ولا كلُ من جالسْ هَلَ العلمْ عالِمْ
وكم عالم ضرَّ العِبـادْ خَطـاهْ

٥٧ ـ ولا كلُ من نالِهْ جميـلٍ يـردِّهْ
ولا كلُ من شافَ الحـريبْ نَصـاهْ

٥٨ ـ ولا كلُ من سلَّ السنـانْ صطا بِـهْ
يموتْ وسنانِـهْ جِضيـع إِخبـاهْ

٥٩ ـ يـا ناشدٍ عني وانـالي قِبيلَـهْ
لها المجدْ زايـدْ بالرَّفَـاعْ بِنـاهْ

٦٠ ـ وكَمَّلْ مقـامَ المجدِ عامرْ وشَيَّدَهْ
طِريـقَ المعـالي للدِّخيلِ مَشاهْ

٦١ ـ كَونٌ جري يَذكرْ على واضِح النَّقَا
أَلاشْراف جضّتْ مِنْ عَظيمْ بَلاهْ

٦٢ ـ مِزنٍ تزبَّـرْ فوقَ سِلىّ صواعقـه
تَشَظَّفْ من خُشوم الجبالِ حصاهْ

٦٣ ـ نِشَا من ثَنايا بِرْكْ ترعـد مخايلهْ
من الشَّرق غيـظٍ بالصدورِ حَداهْ

٦٤ ـ وغرَّبْ مخيفٍ يطحنَ الغيظْ والغضبْ
ومـا طالْ من رُوسِ الخشوم ِطَمَاهْ

٦٥ ـ أَمطرْ على الاشرافْ وانهلَّ وَبْلِـه
عليهُم تنثَّـرْ بالغزيرِ طَهـاهْ

٦٦ ـ قوزُ الشريفِ اكبـرْ علايمْ دلايله
سِيلِهْ تَدفَّـقْ هدَّ كِـلِّ نيـاهْ

٦٧ ـ سِيْلِه عَجَاجْ الخيلِ والبِيضْ والقنَا
ورُوسُ النَّشامَـا بالحُزُومْ أَغثاهْ

٦٨ – تَشْهَدْ على مـا قلتـه العـامريَّـه
جضَّتْ سْبِيعْ مـن عَويـلْ بُكاهْ

٦٩ – تبكي على فتخـانْ الايمـانِ غِلمَه
تعشوهُـمْ اللِّي بالحروبْ أَعصاهْ

٧٠ – والضبعَة العرجـا تعشَّى بدربِهم
وكـم ضيَّفوا ذيبٍ يَجُرٍّ عُـواهْ

٧١ – والطيرْ يلقَى البِرّ من ضربِ شِلفِهم
مضـاريبِهِنْ يعيي الطبيبَ دُواهْ

٧٢ – وَشْ حَلَّ بالاشرافْ غالبْ وراجحْ
اقفو كما صيـدٍ حـدتْه إضـراهْ

٧٣ – اقفُوْ على قُبٍّ تخافـقْ معَ الوَطـا
تنازا بِطَوْعَات الرقاب حذاه

٧٤ – من وَلْبِ عطبينْ السهوم الى زايد
لهمْ صَانـعْ السِّيف الصقِيلْ حَنَاه

٧٥ ـ حَنــاه وارهفْ شذرته يوم كملَّه

وعْطَاهَ لِمنْ هُــمْ بالحروب عــداه

٧٦ ـ حيثْ انَّهم يروون حَــده من العدا

بايمانهم رُوس الفهــود عشاه

٧٧ ـ الى عدا فيهــم حريبْ وزارهم

يعدلــون بحــدود السيوفْ صَغاهْ

٧٨ ـ وجِرِيسْ ما طَالَه من الظيــمْ طايلْ

اسُود الشرا عمــنْ يبيــهْ حِجــاهْ

٧٩ ـ اسودْ الشَّرا بالضيق تنجِيْ دخيلَهم

ويُروُون مــن دمٍّ الرِّقابْ ضِبــاهْ

٨٠ ـ فكوه ثم اغنوهْ يومَ انَّــه التجا

وَجهِ بنِ بدرانٍ يــزيــدْ ضِيــاهْ

٨١ ـ تجملْ معَ «جِريسْ» اليماني وعَزِّهْ

الزايــدى يوم الدخيل عــداه

٨٢ ـ يَشهدْ لعامرْ ما مضى من فعـايلِه
يوم أَنَّ غالبْ بـالجمـوع نَصاهْ

٨٣ ـ يَبي دخيلَ البيت ما خافَ خالقـه
دَخيلِ عِطبينِ السهـومُ إرْمـاهْ

٨٤ ـ واقفا ذليلٍ يتبع السيرَ بـالسَّرا
وحربٌ عنالِـه بالفـوادْ شَكـاهْ

٨٥ ـ اقفا مثلَ ما جَا وهو يشكي العَمَـا
اقفـا مـن الذلهْ يجـرَ قفاهْ

٨٦ ـ عيبٌ على مثلِه لِيـا هَدّ ينثنِـي
تبدلْ مـن عقبَ الهديـرَ إرغاهْ

٨٧ ـ وابنِ صباحْ اذرُوهْ وبـنَ خليفَه
رمحُ آل زايـدْ ظلَّهـم بإفيَـاهْ

٨٨ ـ اخذْ ثارَهُم من ضِدِّهُم يوم كادَهُم
رُمـح من العـزِّ القديمْ عَصـاهْ

٨٩ - يشهدْ بــهِ الهدَّارْ واللِّي جرابــهْ
دخيلُهم ثارَهْ عطوه قَضـــاهْ

٩٠ - فكُّو حقوقٍ للدخيلِ بــن وايــل
جميليــه نالــو حقوقٍ وجـــاهْ

٩١ - مِنْ ضَربْ من لا صددُو عن حريبهم
يصكون بجبــاهْ الخصيم جِبــاهْ

٩٢ - دُخيلهم بــأَعلى السما كينِ منزلــه
له بين نجــم الفرقديــن متـــاهْ

٩٣ - كِنَّــه بجناتٍ تظِلَّــه غصونُهــا
والنايفْ الطــايلْ يحــلُّ رُبــاهْ

٩٤ - تعلُّو لعرش المجدِ من قو عزمِهم
مصابيحَ ظلماتٍ تــزيــحْ دُجاهْ

٩٥ - مراجيمُ عــدوانٍ مرابيع ملتجي
ليا جفَّ من وبــل المزونِ ثَــراهْ

٩٦ – الى قطبتْ عِسْر السنين وجذَّبتْ
ولا عادْ يذكرْ بالرياضِ كِمـاهْ

٩٧ – يهوشون بوجيهٍ تكاشفْ من النقا
والضيقْ مـا يقصر عَليه إقراهِ

٩٨ – يا نـاشدٍ عني وانـا لي قبيلَـه
قصر النَّـدا زادو عليـه بَنـاهْ

٩٩ – اشادُو فعولٌ بالفضـايلْ وسَلمهُم
للجـارْ كـلٍ باللسانِ حَكـاهْ

١٠٠– بَني زايدٍ ادِّو جارَهم من جدارِه
ولحـدٍ مـن اسبابِ الآلـه وداهْ

١٠١– لهمْ واديٍ سهلِ الدروبِ ودُونَـهِ
نارٍ ينزَّح عن احمـاهْ سَنـاهْ

١٠٢– سناهْ مصقولُ الحـديد الصـافي
وعزمَ القلوبِ الصاطياتِ لِظـاهْ

١٠٣ـ عَذْرُوبهُم للضيفِ نرخصْ نفوسُهم
والجارْ مضمونْ السلام إغطـــاهْ

١٠٤ـ وجهَ النَّدا يندا كما ماطرِ الحَيــا
يَبينْ عنــد الموجبــات نَــداهْ

١٠٥ـ تعيِّي على الشيماتِ حفاظة الشَيمْ
وَجْهَ النَّدا لازِمْ يبشُّ حَيــاهْ

١٠٦ـ قِصيرُهم ياردْ على العِــدِّ قبلَهــم
ولا شِكــا يومَ الــورودْ ظَمــاهْ

١٠٧ـ ان زادتْ سِنينَه تجددْ معزتِه
وكلٍ خَطــا جارَه عليــهِ رَفاهْ

١٠٨ـ وانْ ذِبح منهُم خيرٍ عنــد وجههِ
وكَسب الفضيلَهْ بالحيــاةِ إمناهْ

١٠٩ـ على الطِّيبْ شبانٍ وشيبٍ تــزاحمُو
والطِّيبْ يتعِبْ للرجــال مَــداهْ

١١٠- دواسِرُ كِنيُــو على دوسِر الفحَلْ

واسم على فعلٍ يَبيــنْ إقْــداهْ

١١١- من الهضبِ الى الافلاجِ مَكدينِ ضدَّهم

وحَرِيبهم مُــرَّ المــذاقْ عَشاهْ

١١٢- وادِ العقيقْ مُطهريــنَ جَنــابَــه

ولا دِيسْ بيــنَ العــالمينَ إحمــاهْ

١١٣- من عَصْرِ بنِ بدرانْ هاذي ديارُهم

والــدارْ محْدٍ للخصِيمْ عَطــاهْ

١١٤- من الفرعَه العِلْيَا الى الخرجْ حدّهُم

به الجارْ ما كِدِّرْ عليــهْ صَفــاهْ

١١٥- راسِينْ مثلَ جِبالِ هَضبٍ آل زايدْ

وهم لِيــا شانَ الزمــانْ حِمــاهْ

١١٦- حموه يــومَ انَّ القنا يقرعَ القنا

ولمثلِهــم ربِّ العبــادْ بَنــاهْ

١١٧- الدارْ ما تُصلحْ لمن لا يصونُهـا
الدارْ عـورَهْ والرجـالْ إرداهْ

١١٨- دارٌ خَذُوهـا بالمراهيـف عُنْـوَه
وهمْ نورُهـا الساطع ينيـر ضِيـاهْ

١١٩- بني عقيلْ اخلُو مغـاني دِيـارِهم
بعـدَ دمّهـم بارض العقيقِ سقاهْ

١٢٠- من غلمـةٍ ما باعُو العِزَّ والشرف
يـوم الرَّدِي فعـلَ الجميلِ نساهْ

١٢١- تشهـدْ مشاريفُ اليمامَهْ بفعلِهم
فِعـلٍ تِعـدُّ العـالميـنَ ثَنَـاهْ

١٢٢- فعلٍ على فعلٍ تَحاكَا به العـربْ
مَجْـدٍ يكذِّبْ من يَعـدُّ ثَنـاهْ

١٢٣- هَرْج بفعلٍ يشبهْ الماسَ بالذهبْ
وهَرج بلا فعـلٍ يقـالْ سِفـاهْ

١٢٤- نعـدُّ قول مـا تكذِّب مَثَـايلَـه
راويــه اصدقْ من طِيــورِ قِطـاهْ

١٢٥- نعـد مجـدَ الطيببيــنَ وفعلَهم
واذْكــار فعــلٍ الطيببيــنَ طَراهْ

١٢٦- من رامَ فعلَ الغانميــن وشانَهم
السيف يروي مــن عِــداه شِباهْ

١٢٧- من رام فعــل الغانميــن وسَلمَهم
الجــارُ عن الخصم العظيم وُقــاهْ

١٢٨- من رامَ فعــل الطيببيــن وقدرَهم
يبــذل ليــا ضاقَ الزمانْ فَضاهْ

١٢٩- ان كَفَّ هَمَّال الحيَــا وامْحَلَ الوُطا
وشحشحَ عن الطفلِ الرضيــعِ غِذاهْ

١٣٠- يَكرُمْ ليا ضاقتْ على الناسِ وامحلُو
ويصبرْ ليــا مَــنَّ الزمــان وطــاهْ

١٣١ـ النذلُ ما يقدرْ على طيِّبِ الثنا
والليلُ ما يشبه صَدُوق ضِحاهْ

١٣٢ـ يجود الفتى بالجودِ من زايدِ الحيا
يخاف من بالعايباتِ قفاهْ

١٣٣ـ قولو لطَلَّابِ الثنا يتبعْ النقا
ولا يلحقْ العِرض النزيه شَنَاهْ

١٣٤ـ ومن سارَ بِدروب الرَّدَي زارهْ الخنا
ويلبَس من اسلابِ السوادِ كِساهْ

١٣٥ـ أبعدْ عن الانذالْ واتركْ ديارَهم
يفكْكْ من الوجهِ الخبيثِ نِياهْ

١٣٦ـ الاجواد ايات النَّدَي في وجيهِها
والانذالْ شريٍ ما يذاق جَناهْ

١٣٧ـ الاجواد ما تنوي بك البوق والردَي
والأَنذال غيب ما يعد غياهْ

١٣٨ـ الاجواد فعل الخير لِذةْ نفوسِهـــم
والأَنذال ملــزوم يشاف خَنـــاهْ

١٣٩ـ الاجواد جنـــات تعَاقب نهورُهـــا
والأَنذال صلـــدا مـــن صخورٍ صَفاهْ

١٤٠ـ الاجواد تـــاصف لكَ طريق يَدِلك
والأَنذالْ لِعسراتِ الـــدروبِ إقداهْ

١٤١ـ الاجواد مثلَ الوردِ عطرٍ رَوايحُه
والأَنذال زقـــومٌ يطيـــرْ سَفـــاهْ

١٤٢ـ الاجـــواد فيهـــم باب يسرٍ ومعزَّةْ
والأَنذال عسرٍ مـــا عليـــه شِقـــاهْ

١٤٣ـ الاجواد زلـــةْ جارِهـــم يدمحونهـــا
والأَنـــذال تجزَا الاقربيـــن جَناهْ

١٤٤ـ الاجواد مثلَ النهـــرِ حلـــوٌ شرابُـــهْ
والأَنـــذال صبخـــاةٍ ملاح مَـــاهْ

١٤٥ـ الاجواد تبذل فضلَها دونَ عرضِها
والأَنــذال دنْسيــنَ العُروضَ عِراهْ

١٤٦ـ الاجواد مثلَ الــريفِ سَعْد سِعودُهْ
والانــذال قحطُ الزمهريرَ شِتــاهْ

١٤٧ـ الاجواد تــأْمنْ شرهم وانت عندهم
والانــذال شرُ ما يطيــبَ بَــلاهْ

١٤٨ـ الاجوادُ مثلَ الصبح تمشي بنــورهْ
والانــذالُ ليــل مظلــمُ مِمساهْ

١٤٩ـ الاجــواد حبّــاة الندَي يبذرونَها
والانــذال تبــذرْ بالرخيصِ رِيــاهْ

١٥٠ـ الاجواد فعول الخير ما يحجدونَها
والانــذال حزمٌ مــا يطيبْ حِفــاهْ

١٥١ـ الاجواد ما تِلحِق عزيــزٍ مــذمــه
والانــذال تنطق بالصديق زَراه

١٥٢ـ الاجواد عزُّ الجــار والضيف سَلمهم

والانــذال بعيــون العزيــزِ قِــذاهْ

١٥٣ـ من طاوعَ النفسَ الذليلَه على الرَّدي

يرخص ويظهرَ للرجــال خَفــاهْ

١٥٤ـ من طاوع النفسَ الذليلَه على الردي

ينسي الجــار والضيف العزيز جَفاه

١٥٥ـ من طاوع النفس الذليلة على الردَي

يرخص ويظهــر للرجــال رَدَاهْ

١٥٦ـ من طاوع النفس الذليله على الردَي

تَقْصُر عــن العز الرفيــع خُطــاهْ

١٥٧ـ يموت طَلَّاب التمــاني على الشَّقا

سرابُ دوٍّ والظــلالُ غَطَــاهْ

١٥٨ـ يموت طَلاب التمــاني ومكسبُــهْ

كمــا صايح صوتهْ يــردُّ صداهْ

١٥٩– يموت طلاب التمـــاني ومثلَـــــه
مـــن يرجى الحنظـــلْ يزينْ نَماهْ

١٦٠– يموت طَلَّابُ التمـــاني بحسرتهْ
وكثر التمـــاني مـــا تعِيـــد صِباهْ

١٦١– ابـــا التماني لا تمنّى وخلّهـــــا
ترَي التمـــاني والحلُـــوم اشبـــاهْ

١٦٢– يقولها لك من هَوا القلبْ عذّبـــه
وداعي غرامِـــه للغـــرامْ دعـــاهْ

❀ ❀ ❀

مطابع يوسف بيضون
طباعة وتصوير هاتف ٢٧٠٤٠٤